العدد 06
1444-2022

رواق المعرفة

التوثيق المرئي في العمل الإغاثي

01 أهمية التوثيق المرئي في العمل الخيري
02 محاذير التوثيق
03 التوازن بين أهمية التوثيق ومحاذيره
04 التوثيق المرئي في العمل الإغاثي من الناحية الشرعية
05 التوثيق المرئي في العمل الإغاثي من الناحية الإنسانية
06 التوثيق المرئي في العمل الإغاثي من الناحية القانونية
07 التوثيق المرئي في العمل الإغاثي من الناحية الأخلاقية
08 التوثيق المرئي في العمل الإغاثي من الناحية التقنية

مركز أصول
www.osoulcenter.com

أصول الدراسات

اضغط على النقطة للتفاعل

مقدمة

تتنوع مواقف العاملين في الحقل الخيري تجاه التوثيق المرئي (الصور ومقاطع الفيديو) أثناء ممارسة العمل الإغاثي؛ فمنهم من يُبالغ في التوثيق، ويهتم به إلى درجة تجعل من التوثيق هدفًا مستقلًا بذاته، وتجعل له أهميته الخاصة التي لا تقل عن أهمية العمل الإغاثي نفسه، ومنهم من يُقلّل من قيمة التوثيق، أو يرى أن التوثيق قد يقلّل الثواب ويُنقص الأجر، وأنه مظنّة للرياء أو يقود إليه بالمآل، وأنه يتعارض مع نصوص شرعية تحثّ على صدقة السر، هذا من جهة، ومن جهة أخرى يعتبر التوثيق جنايةً على كرامة المستفيد، فيُكتفى -بنظره- بالثقة القائمة بين المانح والموزِّع.

وقد رأينا في مركز أصول أن نفرد هذا الموضوع بنشرة، نبين فيها أهمية التوثيق المرئي في العمل الخيري، ونضع تصورًا مناسبًا لما ينبغي أن يكون عليه، مع الأخذ بعين الاعتبار آراء وحجج كل من الفريقين.

01 أهمية التوثيق المرئي في العمل الخيري

تترك الصور والمقاطع المصوَّرة أثرًا كبيرًا على المشاهد، وهذا ما لا يختلف فيه أحد؛ فبعض الصور لا تزال محفورة في ذاكرة الكثيرين، بعد أن أخذت بعدًا إعلاميًّا واسعًا؛ مثل صورة الأطفال في أحد مجاعات أفريقيا، والطيور الجوارح تنتظر موتهم لتنقض عليهم وتأكلهم، أو صورة المهاجرين الروهنجيا في القوارب والخوف يملأ عيونهم، أو صورة الطفل السوري اللاجئ المتوفى على أحد شواطئ أوروبا، وقد كان لهذه الصور صدًى واسعٌ، ولو لم تُلتقط لما حصل التفاعل الإنساني مع تلك الأحداث بنفس الدرجة؛ ومن هنا نُدرك أن للصورة المرئية مكانة مهمة في العمل الإغاثي.

ومن أسباب أهمية التوثيق المرئي في العمل الإنساني والخيري:

- تعتبر الصورة وسيلة أساسية في توصيف معاناة المستفيد على أقرب وجه.
- تقوم بإيصال صوت المستفيد وصورته للعالم الخارجي.
- قد تصبح الصورة الموثّقة ورقةَ ضغط على صنّاع القرار؛ للمساهمة في تحسين أحوال المحتاجين والمتضررين.
- تفتح الصورة أبواب الخير للراغبين فيه، وتساعد في تشجيع المانحين على البذل والعطاء، وتسهم في توسيع دائرتهم.
- تساهم الصورة في تعزيز جسر الثقة بين الموزِّع والمانح؛ حيث تمنح الطمأنينة للمانحين، بأن أموالهم وخدماتهم وصلت لمستحقِّيها، وتعطي الفرصة للموزِّع لإثبات أمانته وحسن تصرفه في التوزيع.
- قد تكون الصورة بوابة لتبادل الخبرات والمعارف في عالم الإغاثة والعمل والخيري.

02 محاذير التوثيق

رغم تضافر العوامل التي تعطي للتوثيق المرئي أهمية لا تُنكَر، إلا أن لهذا التوثيق عدة محاذير يجب أخذها بالحسبان، فمن ذلك:

- **المحذور الشرعي**: من أهم المحاذير الشرعية ما يتعلق بالإخلاص والرياء من جهة المانح والموزِّع، فإن إخفاء العمل أقرب لتحقيق الإخلاص والبعد عن الرياء.

  ومن هذه المحاذير ما يتعلق بالصورة نفسها؛ فقد يكون فيها مخالفات شرعية، لا سيما ما يتعلق بالعورات وحجاب النساء.

- **المحذور الإنساني**: رغم أن الصور المعبّرة قد تغيّر حياة كثير من المستفيدين، إلا أنها قد تشعرهم بالذل والمهانة، لأنها لا تحفظ ماء وجه الضعفاء والمحتاجين والمضطهدين.

- **المحذور الأخلاقي**: قد لا تُنشر بعض الصور ولكن يسبب احتفاظ الموثِّقين بها حرجًا لأصحابها، وقد تُستَغَل الصور -وخاصة صور السيدات- في الإضرار بهن، وربّما يصل الأمر لمحاولة ابتزازهن والتهديد بالتشهير بهنّ مقابل الحصول على أغراض سيئة.

  ومن المحاذير الأخلاقية الخطيرة كذلك، أن تستخدم الصور للتشجيع على تقديم المساعدات لفئات محدّدة دون غيرها؛ بسبب فوارق العِرق أو الجنس، أو أي فوارق أخرى ليست معتبرة شرعًا.

- **محذور التدليس**: قد يتعرض التوثيق المرئي للتحريف والتحرير والتدليس؛ فمن الممكن أن يقدِّم الموزِّع صورة على أنها لطفلة يتيمة الأبوين بهدف الحصول على جهة تتبنَّاها، وتكون في الواقع طفلة جائعة، ومن اليسير أن يقدِّم الموزع صورًا على أنها في بلد من البلدان؛ وتكون في الواقع صورة من بلد آخر.

  ومن التدليس أيضًا إعطاء حجم للجهة الموزِّعة أكبر من الواقع؛ عبر المبالغة في التوثيق، أو نسبة صور مشاريع الغير لها، أو فبركة صور ومقاطع لمشاريع وهمية، والقائمة تطول.

- **المحذور الاجتماعي**: قد يتعرّض المستفيد لمضايقات المجتمع، بسبب موقف معيّن أو تصريح محدد يخرج به أمام شاشة التوثيق، وربما ينال الأمر أهل بيته، وكثيرًا ما يكون الأمر أشد لو كانت الجهة المستفيدة سيّدة.

03 التوازن بين أهمية التوثيق ومحاذيره

بعد استعراض عوامل أهمية التوثيق المرئي والمحاذير التي تحيط به، فإننا نرى أن الطريق الأمثل هو التوسط بين المبالغين في استعمال التوثيق المرئي وبين المانعين له، وتحقيق التوازن بين أهمية التوثيق وإيجابياته، ومحاذيره وسلبياته، ولتحصيل هذا التوازن يجب مراعاة عدة أمور، منها:

- **مراقبة الله عز وجل:** وذلك باستحضار المانح والموزِّع للإخلاص والنيات الصالحة، والحرص على مصلحة المستفيد بالدرجة الأولى، فمتى كانت مصلحته في التوثيق قاما به، وإلا فلا.
- **اتخاذ موقف الاعتدال في التوثيق:** فلا ينبغي إبطال التوثيق بالكليّة، وسدّ باب الخير عن أهله، ولا جعله المهمة الأساسية في العمل الإغاثي، بل المطلوب التوثيق المعتدل القائم على إيصال الصورة العامة بما يخدم العمل الخيري، مع الحرص على حفظ كرامة المستفيد ومنع هدرها.
- **رفع الوعي عند المستفيدين:** وبيان كيف ينبغي لهم التعامل مع الموثِّقين، بما يجنب المستفيدين أي أخطار محتملة؛ كانتهاك الخصوصية، أو التعرض لمشكلات ومصاعب، وغير ذلك.
- **رفع الوعي عند المانح:**
  - بأن يكتفي بالتوثيق العام، والصور الجماعية، والصور العفوية، دون التشديد في التوثيق؛ حتى لا يكون عمله خيرًا من جانب التبرع، وهدمًا للكرامة أو تعريضًا للمستفيدين لأذى محتمل.
  - بأن الثقة تنبع من الديانة ومراقبة الله عز وجل لا من الصورة فحسب، وأن من يريد ممارسة الفساد في العمل الإغاثي فلن تمنعه الصورة من فعل ذلك.
- **وضع معايير مهنية وأخلاقية عامة في عملية التوثيق:** بحيث لا تُنتهك الخصوصيات، ولا يُعَرَّض المستفيدون لأي نوع من أنواع الأذى المادي أو المعنوي بسبب التوثيق.

04 التوثيق المرئي في العمل الإغاثي من الناحية الشرعية

يقرر الفقهاء أن الأصل في المعاملات الإباحة ما لم يأتِ دليل على الحرمة، والذي يظهر أن أصل التوثيق مباح ولكن قد تعرض له عوارض تجعله مستحبًّا؛ كأن يؤدي التوثيق إلى تشجيع مزيد من المتبرعين، بل قد يعرض ما يجعله واجبًا؛ كأن يمتنع المتبرعون عن البذل دون توثيق، وقد يعرض له ما يجعله مكروهًا، مثل ألا تكون له فائدة تذكر مع بقاء احتمال وقوع بعض المحاذير، أو محرَّمًا بأن تزيد المفاسد على المصالح؛ كأن يؤدي التوثيق إلى تعرض المستفيد لانتقام قد يزيد من معاناته، بل قد يودي بحياته.

والذي نميل إليه أنه إذا وُجدت الحاجة أو الضرورة للتصوير المرئي؛ كأن يكون مشجِّعًا على التصدق، أو فيه زوال لشكوك تدخل في نفوس المانحين، أو يكون فيه دعوة لفعل الخير والمسارعة إليه ونحو ذلك، فلا بأس به، أما إذا لم توجد الحاجة الفعلية لذلك، فتركه أَولَى؛ لانتفاء الحاجة أولًا، ولأن التقاط هذه الصور للمحتاجين ونشرها بين الناس مظنة تأذِّي المستفيدين معنويًّا على أقل تقدير، وقد قال الله عز وجل: ﴿قَوْلٌ مَّعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِّن صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَآ أَذًى ۗ وَٱللَّهُ غَنِىٌّ حَلِيمٌ﴾ (البقرة: ٢٦٣).

ضوابط شرعية في التوثيق المرئي

- **الإخلاص**: أساس العبادة الإخلاص لله، فعلى العاملين في الحقل الإغاثي ضبط نياتهم، فلا يقع في قلوبهم قصد المدح والشهرة وغيرها من النوايا الفاسدة، وإنما يكون مرادهم رضا الله والأجر والثواب منه، وفي الحديث: (إنما الأعمال بالنيات) رواه البخاري ومسلم، أي أن صحة العمل وحصول الأجر من صحة النية، فإذا فسدت فسد.

- **تولية الثقة**: على المانح أن يجتهد من البداية في اختيار الثقة ليقوم بعملية التوزيع، ولمّا كان الوكيل موضع أمانة وثقة، فالأَولى عدم طلب التوثيق، أو الاقتصار على الحد المحتاج له من الصور دون المبالغة فيها.

- **مراعاة المصالح والمفاسد**: الحفاظ على مستوى الإغاثة القائم، أَولى من تعريضه للمنع أو النقص بسبب التوثيق الذي يهدف للاستزادة من التبرعات؛ فمثلاً: الالتزام بقوانين الدول وعدم مخالفتها فيما يتعلق بالتصوير المرئي ضروري؛ حتى لا يتعرض كامل العمل للإيقاف.

- **العادة مُحَكَّمة**: فلكل أهل بلدٍ عاداتهم وأعرافهم، فقد يكون التصوير المرئي في بلد ما عيبًا، أو قد يكون تصوير النساء بحجابهنَّ مرفوضًا، فيجب مراعاة ذلك.

- **الاكتفاء بالمباح**: فيجب أن تخلو الصور والمقاطع من كل المحرمات الشرعية؛ كعورات مكشوفة، أو اختلاط محرَّم، أو موسيقا، وغير ذلك.

- **الحفاظ على الخصوصية (السِّتر)**: فلا ينبغي للتوثيق أن ينتهك خصوصية المستفيد، ولا أن يوقعه في أي نوع من أنواع الحرج.

05 التوثيق المرئي في العمل الإغاثي من الناحية الإنسانية

الصورة التي تُبرز الأثر بعفوية، أو تقتنص ابتسامة نابعة من القلب بتلقائية، وتحفظ الكرامة الإنسانية للمستفيدين، وتلتزم بالقواعد والمعايير الأخلاقية والمهنية، هي التي تكون أكثر قبولًا وتأثيرًا.

قواعد عامة تنطبق على كل الحالات:

- التقيّد بالعادات والتقاليد والقيود المحلية، عند التقاط الصور للأشخاص أو الأشياء أو الأماكن.
- الحصول على موافقة المستفيدين قبل التقاط الصور الخاصة أو القريبة أو الفيديوهات الشخصية ما أمكن.
- عدم التقاط صور بدون علم المستفيدين، وفي حال امتناع الشخص عن التصوير، فينبغي احترام حقه في الرفض، وعدم تأثير ذلك على تقديم المعونة له بشكل لائق.
- إزالة المعلومات الشخصية والتفصيلية من أية وثائق، وخاصة المعلومات المرتبطة آليًّا بالصور؛ بسبب التطبيقات التي تمكن العامة من الوصول إلى معلومات الصورة، مثل المكان والوقت.
- التقاط الصور لكل الناس باحترام وكرامة، وخاصة عند التقاط الصور لذوي الاحتياجات الخاصة، فيجب زيادة الرحمة والعطف والحرص على حماية الخصوصية.

قواعد للحالات الخاصة:

- تجنب وصف الناجين من الاستغلال الجنسي أو المعنَّفين بأوصاف محرجة، وعدم الإسهاب في التفاصيل، وعدم استخدام الصور المميزة بأية علامة للأفراد لتوضيح موضوع حساس مثل هذا.
- عدم ذكر معلومات إضافية عن النشاطات المتعلقة بالجنس والجريمة، أو التي يكون فيها الأفراد من المهمَّشين اجتماعيًّا، حتى لا يتعرضوا لأي نوع من أنواع المساءلة أو التبعات.
- عند تصوير الأشخاص وقت الأزمات، ينبغي حذف الزَّلاَّت اللسانية التي تصدر نتيجة ضعف الأفراد في أوقات الصدمة أو الحزن.
- عند التقاط صور للأطفال، ينبغي التأكد أنها لا تظهرهم بطريقة ضعيفة أو خاضعة، وأنهم ليسوا في أوضاع قد تُرى بأنها موحية جنسيًّا، أو قد تؤثر عليهم مستقبلاً.

06

التوثيق المرئي في العمل الإغاثي من الناحية القانونية

هناك عدة أمور ينبغي مراعاتها في عملية التوثيق المرئي، لضمان سلامة العملية من الناحية القانونية، فمن ذلك:

- الاطلاع على القوانين المحلية المتعلقة بالخصوصية وبالتصوير المرئي والانتباه لها، سواء التصوير العام، أو تصوير فئات خاصة؛ كالنساء والأطفال.
- القيام بإجراءات حفظ حقوق الملكية والنشر لصالح المنظمة الإغاثية، سواء التقطها فريق العمل، أو شركاء من المنظمات الإغاثية الأخرى، وسواء كان المصورون متطوعين، أو تم تعيينهم لغاية التصوير والتوثيق.
- إذا لم تمتلك المنظمة حقوق الطباعة والنشر والتوزيع لبعض الصور التي تم التقاطها من قبل مصادر خارجية؛ مثل مكتبات الصور التجارية، والمنظمات الشريكة، أو الموظفين غير المعنيين بأنشطة المؤسسة، والصور الشخصية للمتطوعين أو العاملين لديها، فينبغي الحصول على إذن رسمي من أصحاب الحقوق قبل النشر والاستخدام أو إعادة إنتاج هذه الصور.

- هناك حالات ينبغي فيها الحصول على موافقات على التصوير والنشر ممن يتم تصويرهم، وفيما يلي جدول يوضح أنواع هذه الموافقات، مع ملاحظة أن أخذ هذه الموافقات أو حصرها في الحالات التالية مجرد اجتهاد:

الموافقة غير ضرورية

- الأفراد الذين تمت التقاط صورهم في أماكن عامة بدون أي علامات مميزة؛ كالوجوه أو أي علامة واضحة تميزهم.
- الشخصيات العامة والمعروفة أثناء وجودهم في الأماكن العامة.
- التجمعات الكبيرة في أماكن عامة.

بحاجة لموافقة شفهية

- جميع الأفراد الذين يظهرون بشكل منفرد أو كعنصر أساسي في الصورة في أي مكان كان.
- الأطفال، الآباء، الأوصياء أو المعلمون في المجال التعليمي والمساكن الداخلية وملاجئ الأيتام.
- مديرو برامج التنمية والأنشطة.

بحاجة لموافقة خطية

- التصوير في المناطق ذات الطبيعة الحساسة؛ مثل المنشآت العسكرية والحكومية.. إلخ.
- كل فرد معروف على المستوى الاجتماعي أو الإعلامي، يتم الكشف عن معلوماته الخاصة في صورة أو قصة.
- الأفراد والمجموعات الصغيرة في أماكن العمل.
- الناجون من الاستغلال الجنسي والمعنَّفون جسديًا.
- الأفراد المصابون بفيروس HIV والسل أو أي حالات طبية أخرى لها تداعيات اجتماعية.
- المرضى والأطباء في العيادات والمستشفيات، أو أماكن العناية الطبية.
- الأشخاص الذين يقومون بأنشطة يُتوقع فيها الخصوصية، مثل «الأعمال داخل البيت، العناية بالأطفال... إلخ».

07 التوثيق المرئي في العمل الإغاثي من الناحية الأخلاقية

للتأكد من أن الصور المستخدمة من قبل المنظمات –في منشوراتها أو المواد الترويجية– تحترم كرامة الإنسان وتعمل من أجل صالح الأشخاص الذين تم تصويرهم، ولضمان الدقة، وأنها ضمن سياقها الصحيح فالأصل ما يلي:

- عدم إلزام المستفيدين بالتصوير، بأي شكل كان.
- عدم تشويه أو تحريف صور الأفراد، أو الموقع الذي التقطت الصور فيه، وفي حال تم التعديل على الصور لحماية الهويات، فيجب بيان ذلك.
- عدم تقديم أي مقابل مادي، أو أي شكل من أشكال التعويض مقابل الصور، أو للموافقة على التقاطها.
- عدم نسبة صور النشاطات أو البرامج التي تنفذها منظمة ما إلى منظمات أخرى.
- عدم استخدام صور مواطني دولة معينة لتمثيل مواطني دولة أخرى.
- الموازنة بين قيمة وأهمية استخدام الصور المرئية، وبين التبعات المترتبة على ذلك.
- التأكد من أن الصور والتعليقات المستخدمة لتوضيح أو دعم المواد المكتوبة واقعية ومتوافقة مع سياق القصة.
- لا يجوز إضافة تعليقات إلى صور أفراد بحيث يمكن التعرف عليهم، أو استخدامها للحصول على معلومات حول الشخص الظاهر في الصورة.
- الإفصاح عندما يكون هناك احتمال التباس في الفهم، مثل: (الصور في هذا المقال مستخدمة لأهداف توضيحية فقط، ولا يوجد تعلق للمقال بأي شخص يظهر في الصور).
- توخي الحذر وعدم صنع صور نمطية؛ كاستخدام الصور المتكررة لمجموعات عرقية، أو جنسيات أو أجناس معينة، عند توضيح قضية ما.
- مراعاة ألا يكون هناك فرق كبير في الصورة –من حيث الحالة والمظهر– بين المستفيدين والعاملين في الإغاثة؛ كأن يكون المستفيدون تحت الشمس، والعامل يضع نظارات شمسية أو يستخدم مظلة تقيه الحر.
- عدم عرض صور المستفيدين في المنشورات والأخبار أو على مواقع التواصل الاجتماعي بقصد تجاري أو شخصي، وإنما توظيف الصورة والخبر في صناعة صورة ذهنية إيجابية للعمل الخيري.
- يجب ألا تكون الصور سلبية بشكل مفرط، مثل مشاهد الدماء الكثيرة، وتضرر الأجساد، والمناظر التي قد تثير الاشمئزاز.

08 التوثيق المرئي في العمل الإغاثي من الناحية التقنية

- تجنب الصور القريبة Close up Photos واعتماد التصوير بزاوية واسعة Wide angle بحيث لا يتم اقتحام خصوصية المستفيدين والعاملين في الميدان.
- تركيز الصورة على الفعل نفسه وليس الفاعل أو المتلقي.
- رغم أهمية التقاط صور احترافية أو واضحة جدًا رجاء إحداث أثر أكبر عند المشاهد، إلا أنه ينبغي التركيز على أهم أهداف التصوير وهو التوثيق.
- ينبغي معالجة الصور عند الضرورة؛ بحيث لا تظهر عورات أو ما قد يسبب الحرج للمستفيدين.
- عدم التغيير في الصورة فوق التعديل الطفيف في الألوان والقص البسيط غير المخل بالمحتوى Touch up.

توصيات

- رفع كفاءة العاملين في حقل توثيق العمل الخيري في جانب العلم الشرعي والعمل على تذكيرهم دومًا بأخلاق الإسلام.
- تدريب العاملين في الميدان على التقاط الصور بطريقة ذكيّة، تحفظ كرامة الإنسان وتؤدّي واجبها.
- في الحالات العاجلة –كالصراعات والحروب– ينبغي عدم الاعتماد على التوثيق المرئي بشكل رئيس لبناء الثقة بين الجهة المانحة والمنظمة الخيرية، وذلك لضمان عدم تأخر وصول المعونات، ولحفظ العاملين والمستفيدين من الخطر.
- عدم انشغال العاملين بهاجس التصوير، بل تركه لمصورين على دراية وخبرة بالقواعد المرعية وأخلاقيات الصورة بشكل مهني.
- عقد مؤتمر أو لقاءات، وإنشاء هيئة من قبل الدول الرائدة في العمل الخيري، ودعوة كبار خبراء ومنظري العمل الخيري والعاملين فيه، لوضع معايير واضحة للتوثيق المرئي وغيره مما يتعلق بالعمل الإغاثي، بهدف تطوير العمل الإغاثي وتحسينه وتوحيد الجهود والآليات.
- كلمة أخيرة للعاملين في المجال الخيري: لا تتنازل عن التوثيق عند الحاجة إليه، ولا تساوم على كرامة أو سلامة المحتاجين.

رواق المعرفة
جراب
OSOUL STORE
dawa.center